تقريران عن الوضع في غزة :

المقاومة المغروسة عميقاً في إرادة الجماهير في غزة

" لا يوجد وقف قتال في غزة ولو ليوم واحد... "

التقرير التالي كتبه « ع. م. » لمجلة شؤون فلسطينيه حول ثورة غزة التي يقودها مناضلو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ويعطي التقرير فكرة كافية عن حقيقة فعالية حركة المقاومة في القطاع المحتل .
وننشر « الهدف » تقريراً اخر ، هو ملخص لمجموعة من المقالات والتقارير نشرت في نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية عن الصحف الاسرائيلية .
« الهدف »

اتسمت الفترة الاخيرة في قطاع غزة بتصاعد اعمال المقاومة الفلسطينية ، وفشل « السياسة الجديدة » التي كانت اسرائيل قد اتخذتها في مطلع شهر نيسان من هذا العام ، ففي هذه الفترة كانت معارك المواجهة في القطاع مستمرة في كل يوم وفي كل ساعة ، كما جاء على لسان « ابي نداو » المراسل العسكري لصحيفة معاريف ، كما وغدا قطاع غزة « الجبهة الوحيدة » التي تواجهها اسرائيل « في اعقاب وقف اطلاق النار في السويس ، والهدوء في الضفة وغروب حركة المقاومة في العالم العربي ».

يختلف الوضع في قطاع غزة عنه في سائر المناطق المحتلة الاخرى ، ففي القطاع ثمة طرفان متناقضان يتصارعان ، الطرف الاول يمثل في المقاومة الفلسطينية ومن ورائها جماهير القطاع التي تناضل لدحر الاحتلال الاسرائيلي ،والطرف الاخر قوات الاحتلال التي تحاول تكريس احتلالها للقطاع ولو بشكل « رمزي » . وليس هنالك اطراف اخرى مثل « الزمامة الفلسطينية » او « الانظمة العربية » فالقطاع ليس متاخما لاي نظام عربي ، وبالتالي فان سياسة « الجسور المفتوحة » او سياسة « وقف اطلاق النار »بعيدة عنه بعد تلك الجسور وبعد وقف اطلاق النار !

ويمكن تصوير الوضع في القطاع في الاونة الاخيرة بالشكل التالي : تواجد فدائي داخل المخيمات وأحياء المدن ، وفي وسط بيارات البرتقال يعمل بشكل منظم وسري قادر على الحركة والتنقل والعمل ، معتمدا على الجماهير العريضة للقطاع ، وتواجد اسرائيلي يتمثل في مكاتب الحكم العسكريين في مدن القطاع وفي الوحدات الاسرائيلية المتحركة والمنقولة التي تقوم بين الحين والآخر باعمال الدوريات في الشوارع الرئيسية للمدن والمخيمات . والشكل الشاغل لكل طرف الحد من تواجد الطرف الاخر وتصفيته وقف استطاعت المقاومة الحد من التواجد العلني الاسرائيلي في القطاع ، بعكس ما هو عليه الوضع في بقية المناطق المحتلة ، كما وامرت ٢٦ سائقا عربيا من سائقي شركة « ايجد » بالتوقف عن العمل لاشكال محاولات ربط قسم من اهالي القطاع بالاقتصاد الاسرائيلي ، فقسم هؤلاء استقالوا في النصف الثاني من شهر حزيران ، استجابة للامر ، وهذا تعطل حركة السير تماما بين اسرائيل وقطاع غزة ، وقام الطرف الثاني من جانبه بمحاولات لارغام المخابيز ، بالاعلام عن كل تعرض لامن النخبة التي تخبز لهم داخل دائرة مسؤوليته ، وبذل كل جهد لمنع حرق المخازن والتبغ ، غير ان الكثير رفضوا هذه المحاولات لادراكهم بان المقاومة لا ترحيم نفسها من صلحين يؤذوننا ويؤذونكم .

قالت الفتاة والغضب يتطاير من كل كلمة تتفوه بها : هذا ليس من شانكم نحن نعالج الموضوع بانفسنا .

ويذكر الصحفي الاسرائيلي ان السلح قد تخلص من بندقيته و « انتلمته الارض » وازدحلا طاعنا في السن قد اخذ البندقية وخباها تحت الفراش الذي يجلس عليه ، وعندما قدم الجنود الى بيته بغرض التفتيش ، كان جوابه مثل اجوبة كافة السكان « لم ار ولم اسمع » (ملحق معاريف ٢ – ٧ – ٧١) .

وتصف صحيفة هارتس ما يحدث عادة في حال مرور الاسرائيليين داخل المخيمات : « مجموعات من الاولاد يسيرون خلفك يصرخون ويشتمون ، فتيات في سن الروضة يتراقصن ويشتمن ، حجارة تلقى من وراء الحيطان وعيون طليئة بالكراهية بمثابة حرس مرافق لك » .

في هذا الجو تعمل المقاومة الفلسطينية داخل القطاع ، حيث تقوم يوميا بشن هجمات على قوات الاحتلال وفي مطلع هذا الشهر ترد قوات الاحتلال على هذه الهجمات ، وتتفاوت الاشتباكات بين غرس الالغام على الطرق ، والقاء القنابل اليدوية ونصب الكمائن والاشتباك المباشر بين الاطراف داخل الاحياء او وسط البيارات .وقد اختارت جماهير القطاع الخروج بمسيرات حداد على شهداء المقاومة الذين يسقطون في المعارك ، وايدى الصحفيون الاسرائيليون استغرابهم من « قيام السكان بتزيين قبور المخربين » .

ازاء هذا الوضع الذي اصبحت فيه سيطرة المقاومة شبه تامة على القطاع ، والذي تسبب باحداث خسائر بين صفوف قوات الاحتلال طالب صحفي اسرائيلي لاول مرة ، ازالة التواجد الاسرائيلي العسكري من القطاع . فقد قال الصحفي الاسرائيلي أ . شفايتسر تحت عنوان ليس من الضروري الحفاظ على النظام في غزة « ... ان ذلك يطرح سؤالا مالا نعمل من اجل الا يقتل جنود الجيش الاسرائيلي في المدينة او القطاع ؟ الجواب ان لا يتواجدوا فيه.

واذا كان تواجدهم غير ممتع – على سبيل المثال الحفاظ على مرور آمن على محاور المواصلات او على مكاتب الحكم العسكري – فليتواجدوا هناك داخل مواقع (الصخفة هي موقع متحرك) لا يمكن اصابتها بواسطة قنبلة يدوية او بصلية كلاشنيكوف . بهذه الطريقة سيقل التصادم » (هارتس ١٤ – ٧ – ٧١) .

ورد عليه الكثيرون بان اقتراحه غير عملي لان الفدائيين يمتلكون قذائف مضادة للدبابات،وزادوا على ذلك « وان خروجنا من القطاع فمن يضمن من نصب صواريخ كاتيوشا وتوجيهها ضد مستوطناتنا؟!!

وفي غضون ذلك توصلت السلطات الاسرائيلية الى قرار باستبدال سياستها السابقة بسياسة قمع جديدة تتمثل في عدد من الخطوات من بينها منع خروج سكان المخيمات من مخيماتهم بدون هدف محدد ، واثبت ذلك بان حزات وحداتها العسكرية حول المخيمات حيث اخذت هذه الوحدات تسمح بالخروج فقط لاولئك الذين يذهبون الى العمل او المحتاجين الى المعالجة او الذين يقدمون اسبابا اخرى لمغادرتهم المكان. كما واتخذت خطوة اخرى تتمثل في طلب السلطات من اصحاب البيارات الواقعة على امتداد الطريق الرئيسي « بخلع النباتات الكثيفة حول الاشجار وكذلك قص الاغصان المتخلفة للاشجار من اجل تمكين رؤية واضحة على عمق ٣٠ مترا داخل البيارات » .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الطريق قد شهدت اشتباكات خاطفة بين المقاومة وقوات الاحتلال اسفرت عن وقوع خسائر كبيرة في الجانب الاسرائيلي ويستدل على ذلك من قول صحيفة هارتس في ٢٧ – ٧ – ٧١ اثناء تحدثها عن استغلال الفدائيين للاشجار الكثيفة الممتدة على جانبي الطريق « ولي هذه الفترة القصيرة قتل وجرح اسرائيليون كثيرون فقد وصلت تكاليف الجرحى فقط حوالي مليوني ليرة اسرائيلية » !

لم تكتف السلطات الاسرائيلية بالتدابير الامنية التي تتخذها داخل القطاع ، بل اخذت تعزز من هذه التدابير حول القطاع برمته خوفا من احتمال تصاعد ساعد المقاومة وامتداده الى المستوطنات الاسرائيلية فاقدمت على بناء سياج امن على امتداد « الخط الاخضر » حول القطاع ومن المقرر ان يكون العمل به قد انتهى في شهر آب من هذا العام . هذا علاوة عن انتهائها قبل مدة بسيطة من شق طريق امني طوله ٨٠ كم على امتداد الخط الاخضر ، معد لاعمال الدورية لحماية المستوطنات الاسرائيلية من المقاومين العرب .

سياسة التهجير

من اخطر السياسات التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية تجاه القطاع سياسة التهجير ، التي بدات تمارسها في اواخر شهر تموز من هذا العام . ومما يلفت النظر ان سياسة الحزم والشدة تجاه المقاومة في القطاع تأتي دائما في اعقاب ضرب النظام الاردني للمقاومة او مصاحبته له ففي اعقاب مجزرة ايلول قامت السلطات الاسرائيلية بحملة كبيرة طيلة شهر يناير استهدفت تصفية الوجود الفدائي في القطاع ، الا ان النتيجة كانت على عكس ما ارادت ، وخلال حملة تموز الاردنية والتي استطاع النظام الاردني فيها تصفية الوجود الفدائي في الاردن ، اقدمت السلطات الاسرائيلية على اتباع سياسة كانت تخشى من الاقدام عليها في السابق ، سياسة التهجير . ومن الجدير بالذكر ان فكرة تهجير قسم كبير من سكان القطاع الى خارج القطاع فكرة قديمة ظهرت مع اشتداد حدة الصراع بين المقاومة وقوات الاحتلال ، وعبرت عن نفسها في مشاريع عدة اشهرها « مشروع رمتان فايتس » الذي يستهدف توطين ٥٠ الفا من لاجئي غزة في منطقة العريش، وقد اكد « فايتس » في مشروعه الذي ينص على متن صحيفة ان القنبلة الاساسية هي القضية اللاجئين وان مشروعه يأتي لحل مشاكل العمل بشكل لا يخلد توطين اللاجئين في القطاع ولا داخل اسرائيل . غير ان الحكومة رفضت مشروع الاحتلال الاسرائيلي في قطاع غزة . وتهدف هذه المشاريع الى تصفية اوضاع المخيمات ، وعزل حركة المقاومة في القطاع وخنقها . وتتم عمليات التهجير والتوطين عنوه ، وينقل المواطنون العرب بالشاحنات الى اماكن سكن بعيدة ، ويتعرضون للاهانة والضرب . وقد سخرت احدى الصحف الاسرائيلية (هارتس ٢٨ – ٧ – ٧١) من الحملة الدعائية التي تشيع ان المواطنين العرب ينقلون برضاهم . ثم جاء الاضراب العام الذي بدأ يوم ١٤ آب الماضي وتصاعد اعمال المقاومة ليعبر1 عن رفض سكان القطاع لمشاريع الاقتلاع والتهجير .

في اليوم الثاني من شهر آب الماضي ، بدأت سلطات الاحتلال العسكري في غزة والمخيمات وبواسطة الطائرات ايضا ، توزيع منشور يحمل توقيع قائد منطقة قطاع غزة وشمال سيناء . وجاء في هذا المنشور ، كما نشرته دافار (٣ – ٨ – ٧١) : « الى سكان قطاع غزة .

من المؤكد انكم سمعتم بالمعارك التي تدور هذه الايام في الاردن ، حيث يضرب المخربون ويطاردون ، وسمعتم ايضا ان حوالي ١٠٠مخرب حتى الآن ، سلموا انفسهم واسلحتهم الى القوات الاسرائيلية ، ونحن نعاملهم بشكل لائق وانساني » .

واضاف المنشور الاسرائيلي : « لقد ضربت حركة المخربين ضربة قاضية ، وهي اليوم بطاردة في معظم الدول العربية ... ولقد افلست فكرة الكفاح المسلح باعتراف قادة حركات المخربين وحكام الدول العربية ، ان التوقف عن سفك الدماء ، والاحترام المتبادل فيما بيننا ، يؤديان الى الهدوء والاتصاش .

سكان القطاع المحترمون : اننا نتوجه الى جميع المخربين في القطاع للسير على خطى اخوانهم . اولئك الذين كانوا حتى الامس يطلقون النار عبر الحدود ، ويلحقون الضرر بالمواطنين الاسرائيليين ، وها هم اليوم يسلمون انفسهم، ويحظون باستقبال انساني ولائق في اسرائيل . وانتم ايضا سلموا انفسكم ، وستحظون بمعاملة انسانية ولائقة لضمن لكم حياتكم .

اننا نتوجه الى جميع المخربين لاستغلال الفرصة ، وعدم الانسياق وراء تاليرات سلبية تعرض حياة ابنائكم للخطر . قدموا التمح لابنائكم كي يسلموا انفسهم ، فتنقذ جميعا »(!)

وعرفت معاريف (٢٦ – ٧ – ٧١) الوضع الراهن في القطاع : « يسكن في قطاع غزة اليوم نحو ٣٤٠ الف نسمة ، بينهم ٢٢٠ الف لاجيء. يقيم ١٦٠ الف لاجيء في ثمانية مخيمات في القطاع : ٣٦ الفا في مخيم جباليا ، ٢٧ الفا في مخيم الشاطيء (غربي غزة) ، ١٥ الفا في النصيرات ، ٩ الاف في البريج ، ٩ الاف في المغازي ، ٨ الاف في دير البلح ، ٢٦ الفا في خان يونس ، ٢٠ الفا في رفح . ويسكن نحو ٦٠ الف لاجيء خارج المخيمات ، وخصوصا في مدن غزة ، وخان يونس ، ورفح ، ودير البلح ...

في الايام الاخيرة ، بدأت خطة شق الطرق في جباليا ، حيث تم هدم عشرات البيوت ، بعد ان غادرتها العائلات بارادتها . وقد تسلم سكانها تعويضا ماليا عن الاملاك والحيوانات والمزروعات التي خلفوها وراءهم ، كما تسلموا شققا كبيرة تزيد مساحتها عن مساحة البيوت القديمة ، في امكنة اخرى من القطاع ...

ويعمل المخربون في جباليا على تحريض اللاجئين لحملهم على رفض الانتقال . ويظهر اللاجئون الذين يوافقون على الانتقال ، امام الراي العام ، وكانهم نقلوا بالقوة . وبوسع السبت الماضي تظاهرت مائة عائلة امام المكتب الرئيسي لوكالة الغوث في القطاع لتثبت للمخربين انها لا تنتقل بارادتها ، بل بالقوة .

ومهما يكن ، فان عدد الذين سيغادرون جباليا سيزيد . الطرق الامنية تشق ، والبيوت التراصة تهدم ، وليس بعيدا اليوم الذي يؤثر فيه تخفيف السكان في جباليا على نهاية منظمات التخريب في القطاع وبداية تنفيذ خطة لحل مشكلة اللاجئين » .

وفي ٦ – ٨ – ١٩٧١ كتبت « معاريف » تقول: ليبدو المشكلة العسكرية في القطاع اليوم – اي مشكلة الامن – مرتبطة بحل وضع اللاجئين على المدى البعيد . كانت الحكومة تنظر الى مشكلة الامن على انها مسالة ثانوية ، ولكنها تعترف الان ، انه لا يمكن حل مشكلة اللاجئين، دون ضرب الارهاب في غزة .

قبل عدة اشهر ، عندما درس المسؤولون عن السياسة في القطاع ، مسالة ضمان العمال الذين يغادرونه للعمل في اسرائيل (بسبب حوادث الاغتيالات ضدهم) توصلوا الى استنتاج سلبي : عدم ضمانهم . وهرة اخرى ، وعلى الرغم من ان الامور لم تكن على هذا الشكل ، يبدو وكان هؤلاء المسؤولين يريدون الزام العمال العاديين في العمل في اسرائيل ، بالانتقال الى الضفة الغربية ومنها يستطيعون الانتقال للعمل في اسرائيل ، دون خوف من الاغتيالات . وهكذا تحولت في الواقع ، سياسة عدم التدخل ،بسبب الاعمال ، الى سياسة تفريق السكان نتيجة اعمال القتل في القطاع .

اصبح المخرب في هذا الوضع هو الزعيم والبطل ، والنموذج الذي يقلد . فالمخابير ، الذين كانت السلطات الاسرائيلية تستجديهم ، بسبب ذكريات ماضيهم المجيد في عهد الانتداب، بدوا ادوات فارغة ، عديمة التاثير » .

بدء سياسة جديدة

في حلقة اولى من سلسلة مقالات عن سياسة اسرائيل بالنسبة لقطاع غزة ، ذكر امنون روبنشطاين في (هارتس ٢٦ – ٧ – ٧١) انه منذ اول كانون الثاني (يناير) هذه السنة وحتى ١٧ تموز (يوليو) قتل المخربون ٩١ رجلا (بينهم سبعة اسرائيليين) وجرحوا ٤٠٠ شخص بينهم ٧٢ اسرائيليا . وقد تم تنفيذ قسم من عمليات القتل هذه ، على مرأى من الجميع..

وتحدث روبنشطاين في حلقة ثانية (هارتس ٢٧ – ٧ – ٧١) عن فشل سياسة « ليقتل بعضهم بعضا » في قطاع غزة ، والبدء في تنفيذ سياسة جديدة ، ففال : ان نقطة التحول التي ادت الى الانهيار ، هي قرار وزير الدفاع في ٧ – ٧ – ١٩٦٩ اجلاء الشرطة المحلية عن مخيمات اللاجئين ، اثر هجوم بالقنابل على رجال الشرطة . وقد كان هذا الاجلاء دليلا على فقدان السيطرة الاسرائيلية على القطاع .. لم طبقت سياسة « ليقتل بعضهم بعضا » وهي السياسة التي اكتفت بالسيطرة العسكرية الاسرائيلية على عدد من المراكز ، واهملت تماما مسؤولية اسرائيل عن النظام والامن في القطاع كله ..

وعدد الكاتب اسباب فشل سياسة « ليقتل بعضهم بعضا » ومن بينها ان المطالبة بان يدخل القطاع في نطاق الحكم الاسرائيلي ، قد تفاعل وزنها نتيجة ضعف هذا الحكم في القطاع . ذلك انه كلما زاد العنف ، كلما تقلصت سيطرتنا .

من الصعب تنفيذ مشاريع جذرية لحل مشكلات اللاجئين دون تعاون مع السكان ،ودون حكم محلي . ولن يتم ذلك ما دام المخربون يفرضون سيطرتهم على القطاع .

لهذه الاسباب فشلت السياسة السابقة في القطاع . ساء وضع الامن في النصف الثاني من سنة ١٩٧٠ . ومكن وقف اطلاق النار جيش اسرائيل من ارسال قوات الى القطاع ... »

وعرض روبنشطاين في (هارتس ٢٨ – ٧ – ٧١) مشروع موشيه دايان وزير الدفاع لقطاع غزة : « يتضمن المشروع ثلاثة خطوط عمل :

– اتخاذ تدابير ردع وعقاب ضد السكان الذين يتعاونون مع المخربين . .

– تخفيف عدد سكان المخيمات الكبيرة – خصوصا جباليا – وتحسين ظروفها ... والهدف النهائي هو اقامة سلسلة من المخيمات الصغيرة نسبيا .

– تقام المخيمات الجديدة في القطاع على شكل احياء تخترقها الطرق ، ومبنية حول مركز للتجارة والصناعة ، ومضادة بالكهرباء . ولكون السكان اوسع من تلك القائمة الان ، ولكنها تحمل طابع مخيم اللاجئين » .

وفي (هارتس ١ – ٨ – ٧١) أيد عيزر وايزمن ما جاء في مقالات روبنشطاين بالنسبة للمضمون والاستنتاجات ، بما في ذلك حل مشكلة اللاجئين داخل حدود دولة اسرائيل ولكن على اساس بقائها على نهر الاردن ، وفي هضبة الجولان ، وشرقي سيناء ...

ولكن المقاومة في غزة لا تهدا ، وثمة بين الاسرائيليين من يحذر ان جلوس هذه المقاومة تحت الى ابعد مما تصل مشاريع الحلول الاسرائيلية ، لقول معاريف (٣٠ – ٧ – ٧١) « لا يوجد وقف قتال في قطاع غزة ولو ليوم واحد . ولكن جبهة القطاع دون قتال ، اخطر من جبهة القناة وهي في حالة قتال . لانه هنا في القطاع ، تنمو الظروف التي ستجر حروبا اخرى ... »